الحلمية .. والوالى القتيل !

ترك عباس حلمى الأول ذكرى أليمة فى تاريخ مصر الحديث . . فهو ابن طوسون باشا الابن الأثير عند والده محمد على باشا الكبير . . فقد كان لمحمد على أولاد ذكور أبرزهم إبراهيم باشا قائد جيوشه ، وساعده الأيمن فى فتوحاته فى المورة (اليونان) والشام ، والحجاز ، واليمن . . وإسماعيل الذى تولى فتح السودان مع محمد بك الدفتردار ، ومات محترقاً بفعل مؤامرة دبرها الملك نمر ملك مملكة شندى عند التقاء النيلين الأبيض بالأزرق . . وطوسون الذى قاد الجيش المصرى لمواجهة الحركة الوهابية فى الجزيرة العربية ومات شاباً . . وسعيد الذى أصبح والياً على مصر ، وعبد الحليم . . وآخرون بعضهم مات صغيراً مثل الأمير محمد على الصغير . .

وخطيئة عباس الكبرى التى لا تغتفر أنه أجهض الحركة الإصلاحية التى بدأها جده محمد على الكبير ، عندما أوقف إرسال البعثات ، وأغلق عديدًا من المدارس ، والمصانع ، وأنقص عدد الجيش ، وأوقف التوسعات فى الصناعات الحربية والمدنية . . ويكفى أنه لقى جزاءه عندما مات مقتولاً فى قصره فى مدينة بنها . .

ورغم هذا سيذكر التاريخ للوالى عباس حلمى الأول ، الذى تولى عرش مصر بعد وفاة عمه إبراهيم باشا ـ وفى حياة جده محمد على ـ يوم ٢٤ نوفمبر ١٨٤٨م ـ « ٢٧ ذى الحجة ١٢٦٤هـ » أنه ترك بعض البصمات التعميرية . .

فهو الذى بدأ تعمير منطقة الريدانية ؛ لتحمل اسمه من بعده أى العباسية ،

وشجع الأمراء والأعيان على البناء فيها . ووجه لهم نداءً بل أمراً بذلك ، بدلاً من أن ينفقوا أموالهم على المهازل والمباذل ، حتى يتركوا لأولادهم شيئاً يفخرون به . .

وهو أيضاً الذى أنشأ حى . . الحلمية ؛ أى إن اسمه أصبح مخلداً فى أكثر من موقع فى عاصمة مصر : العباسية الذى يعتبر من أكبر أحيائها ، والحلمية غير بعيد عن القلعة مقر الحكم فى عصره . .

والغريب أن محمد على الكبير لم يطلق اسمه على أى مدينة أو منشأة ، وكأنه اكتفى بأعماله العظيمة لتكون خير دعاية وذكرى له . . بينما من أبنائه وأحفاده من تحمل المدن والأحياء أسماءهم مثل :

●● الإبراهيمية فى محافظة الشرقية نسبة إلى إبراهيم باشا .

●● ومدينة الإسماعيلية على قناة السويس . . وترعة الإسماعيلية الحلوة من النيل عند شبرا إلى منطقة القناة . . وحى الإسماعيلية فى قلب القاهرة « التحرير الآن » ، وميدان الإسماعيلية فى ضاحية مصر الجديدة . . وكلها تحمل اسم الخديو إسماعيل .

●● ثم مدينة بور توفيق ضاحية ميناء ومدينة السويس ، وحى التوفيقية التجارى ، وسوق التوفيقية المشهور فى قلب القاهرة ، شارع توفيق « الآن شارع عرابى » من شارع رمسيس إلى شارع ٢٦ يوليو فى القاهرة . . وهناك أكثر من قرية تحمل اسم التوفيقية . . بل هناك مدينة فى أقصى جنوب غرب السودان تحمل اسم التوفيقية وكلها تنسب إلى الخديو توفيق الذى خان مصر ، واستعان بالجيش الإنجليزى ليجهض الثورة العرابية ذات الثوب الوطنى الدستورى الإصلاحى .

●● ومدينة بور فؤاد الضاحية الشرقية لمدينة بور سعيد ، والتى أقامتها شركة قناة السويس على الضفة الشرقية للقناة عام ١٩٢٦م لموظفيها وعمالها المشتغلين بالورش الشرقية ، وقد نسبت للملك فؤاد الذى بدأ حكمه سلطاناً بين عامى ١٩١٧ و١٩٢٢م ، ثم أصبح ملكاً من عام ١٩٢٢ إلى أن مات عام ١٩٣٦م . . بل كانت هناك مديرية تحمل اسم : مديرية الفؤادية نسبة إليه ، هى الآن محافظة كفر الشيخ .

●● بل نجد مدينة أخرى هى الأكثر شهرة فى منطقة القناة ، ومن أشهر مدن مصر كلها هى مدينة بورسعيد . . والى مصر الذى وقع عقد امتياز وحفر قناة السويس، وحكم مصر بعد مقتل عباس الأول ، وهو محمد سعيد باشا ابن محمد على الكبير . . ونعلم طبعاً أن كلمة « بور » تعنى الميناء . . أى فى مصر ميناءان ومدينتان لاثنين من أبناء وأحفاد محمد على ، هما : بورسعيد فى الشمال عند المدخل الشمالى للقناة . . وميناء توفيق عند المدخل الجنوبى للقناة ، الأول لسعيد باشا والثانية للخديو توفيق . .

وهكذا خلد التاريخ ـ والجغرافيا ـ سعيد وتوفيق وإسماعيل ، بينما لم يخلد محمد على نفسه .

أما عباس حلمى الأول ـ رجل الانغلاق الأكبر فى أسرة محمد على ـ فقد خلد اسمه على اثنين من أكبر أحياء القاهرة ، هما : العباسية . . والحلمية .

ولنبدأ بحكاية حى الحلمية !!

●● فى يوم ٢٧ ربيع الأول عام ١٢٦٧هـ حوالى عام ١٨٥١م ، صدرت إرادة من الحاج ـ هكذا ـ عباس حلمى باشا الأول ـ والى مصر ـ تقضى بإطلاق اسم الحلمية على حى قيسون أو قوسون ، وهذا الحى ـ الحلمية ـ يقع بين الحبانية شمالاً والسيوفية والسروجية شرقاً . . وبركة الفيل جنوباً . . ودرب الجماميز والهياتم غرباً ، وأهم شوارع الحلمية : شارع نور الظلام ، شارع أحمد بك عمر ، شارع درب الجماميز ، شارع القلعة شرقاً والذى يفصلها عن السروجية والدرب الأحمر وسوق السلاح ، ثم نصل إلى جامع السلطان حسن .

وأبرز معالم الحى : المدرسة الخديوية ، والمحكمة الشرعية ، وقسم شرطة الدرب الأحمر ، الذى كان المقر العام لجماعة الإخوان المسلمين ، قبل حل الجماعة بعد الأحداث الدامية فى نهاية الأربعينيات .

وبتفاصيل أكثر ، نقول إن الحلمية القديمة تقع على شمالها الحبانية وغربها الهياتم ودرب الجماميز . . وشرقها السروجية والدرب الأحمر . . وجنوبها السيوفية والمنشية ، وبركة الفيل ، ثم جنوبها السيدة زينب والحوض المرصود . . ويعتبر شارع درب

الجماميز هو الفاصل بين الحلمية والهياتم حيث جامع السلطان الحنفى . وأهم شوارع الحلمية : شارع الحلمية نفسه وامتداده شارع الركبية ، وشارع نور الظلام جنوبها ، ثم شارع الصليبة .

وأبرز المنشآت على اليمين جامع السلطان حسن . . وميدان محمد على « القلعة» . . وجامع الرفاعى . ويحد الحى شرقاً شارع القلعة وشمالاً شارع أحمد بك عمر حتى الحبانية ، ويفصل حى الحلمية عن قصر عابدين شارع الخليج المصرى .

●● وحى الحلمية « القديمة » منطقة لها تاريخ ، فقد كان فى الموقع نفسه بركة كبيرة يقال لها بركة الفيل ، وكان فيها تربة للدفن . . وبركة الفيل تمتد من بستان الحبانية إلى بستان سيف الإسلام إلى تحت الكبش إلى الجسر الأعظم (ميدان السيدة زينب الآن) ، الذى كان يفصل بينها وبين بركة قارون ، ومناظر الكبش المطلة عليها . ولما أنشأ جوهر الصقلى القاهرة عام ٩٦٩م ، كانت البركة تجاهها خارج باب زويلة ، ولم تكن عليها أى مبان ، ثم عمر الناس حولها بعد عام ٦٠٠هـ .

ويقول محمد رمزى فى كتابه الكبير متعدد الأجزاء « القاموس الجغرافى » إن بركة الفيل لم تكن بركة عميقة ، بل فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ البركة . وإنما كانت تطلق على أرض زراعية يغمرها ماء النيل سنوياً وقت الفيضان ، وكانت تروى من الخليج المصرى (شارع بورسعيد الآن) . وبعد نزول الماء تزرع الأرض أصنافًا شتوية ، وكان أشهر محصولاتها هو القرط المعروف الآن بالبرسيم ، وكانت بركة الفيل تعتبر فى دفاتر المساحة من النواحى المربوط على أراضيها الخراج ، ولم يحذف اسمها من جداول أسماء النواحى ، إلاّ بعد أن تحول معظم أراضيها إلى مساكن .

وقد تحولت أراضيها تدريجياً من الزراعة إلى السكن من عام ٦٢٠ هـ ، ولم يبق بأرض البركة بغير بناء إلى سنة ١٨٠٠م (أيام الحملة الفرنسية) والتى رسمت فيها الحملة الفرنسية هذه خريطة القاهرة إلا قطعة أرض واحدة ، أقيم عليها فيما بعد سراى عباس حلمى الأول المعروفة بسراى الحلمية . وفى عام ١٨٩٤م قسمت أراضى حديقة السراى . وفى عام ١٩٠٢م تم هدم السراى وقسمت أراضيها أيضاً وتم بيعها للأهالى ، فأقاموا عليها مساكن لهم فى المنطقة المعروفة الآن باسم : الحلمية الجديدة .

●● أما سبب تسمية المنطقة باسم بركة الفيل ، فيرجع إلى الأمير خمارويه بن أحمد ابن طولون ، الذى كان مغرماً باقتناء الحيوانات من السباع والنمور والزرافات ، وأنشأ لكل نوع منها داراً خاصة به . وكانت دار الفيلة واقعة على حافة البركة من الجهة القبلية الشرقية ؛ حيث شارع نور الظلام الآن .

وكان الناس يذهبون إلى البركة للنزهة والفرجة على الفيلة ، فاشتهرت بينهم باسم بركة الفيل حتى اليوم . ومن هنا فإن الذين يقولون بأنها حصلت على اسمها لأن شكلها كان على هيئة فيل لا أساس له من الصحة . فقد كانت على شكل بيضاوى مفرطح من جهتيه الغربية والشرقية ، وقد وصفها ابن سعيد فى كتاب المغرب فقال إنها كانت دائرة كالبدر ، والمناظر حولها كالنجوم ، كما نقل الوصف محمد بك رمزى فى كتابه «القاموس الجغرافى للبلاد المصرية » .

ودار الفيل هذه غير دار الفيل ، التى كانت على بركة قارون ، واشتراها كافور الإخشيدى أمير مصر ، وحبس فيها بنى مسكين ، فهذه الدار ـ الأخيرة ـ كانت واقعة على سكة المذبح من الجهة الشمالية منها جنوبى البغالة بقسم السيده زينب .

تلك هى الحلمية القديمة . . والحلمية الجديدة فى قلب القاهرة ، فماذا عن الحلمية الثالثة ؟!

●● هى الحلمية الموجودة فى أقصى شمال شرق القاهرة ،والتى تقع شمال حى الزيتون ، ولهذا للتفرقة بين « الثلاث حلميات » يقول العامة عن الأخيرة : حلمية الزيتون للتفرقة بينها وبين الحلمية القديمة وسط العاصمة . .

وهذه الحلمية الثالثة تقع بين حى الزيتون جنوباً . . وحى المطرية شمالاً .

والحلمية والزيتون يتداخلان مع بعضهما ، ويتحركان مع خط السكة الحديد الذى يبدأ من كوبرى الليمون فى ميدان السكة الحديد . وحى الزيتون يبدأ من حيث ينتهى حى القبة . وأبرز شوارع الزيتون : الغريبان . . سليم الأول الذى اغتصب مصر ، وطومان باى آخر سلاطين المماليك الذى تولى المسئولية بعد هزيمة سلطانه الغورى فى

مرج دابق . وحاول طومان باى التصدى للسلطان سليم ، الذى زحف على مصر ووصلها عام ١٥١٧م .

ودارت معارك عديدة إلى أن لحقت الهزيمة بسلطان مصر ، طومان باى ، وشنقه سليم على باب زويلة وسط بكاء وعويل المصريين ؛ حزناً على سلطانهم البطل المقاتل .

وهذان الشارعان : سليم الأول وطومان باى يبد آن تقريباً من ميدان ابن سندر فى القبة جنوباً ، وهما أبرز الشوارع الطولية فى المنطقة ، وعلى شرق طومان باى شارع سكة حديد السويس القديمة . أما الشوارع العرضية . . فهى من الجنوب : العزيز بالله ثم نصوح باشا الذى يصب عند محطة الزيتون ، ثم شارع سنان باشا وشارع محمد بخيت ، ثم شارع وميدان ابن الحكم حيث حى الحلمية .

أما غرب السكة الحديد فى الزيتون ، فنجد شارع عبد القادر الجيلانى ، ثم شارع محطة الزيتون ، ثم شارع عبد الرحمن بك نصر ، وشارع الزيتون ، فشارع النواوى .

وفى الحلمية نجد شارع دار السعادة ، ثم محطة الحلمية ، فشارع البشرى ، فشارع عين شمس . وغرباً نجد شارع المسيرى ، وشارع وابور المياه ، إلى أن نصل إلى شارع المطرية فى أقصى الغرب ؛ حيث عزبة خليل رضوان ، وساقية البدارنة . وكان فى المنطقة معهد الجمعية المصرية لرعاية العميان على شارع وابور المياه ، ثم طريق المعاهدة غرباً ، وشماله جامع المطراوى ، ومحطة الحلمية ، ثم شارع البشرى شرق المحطة ، إلى شارع عين شمس شرقاً ، هو وشارع سليم الأول .

وأبرز مبانى هذه المنطقة مستشفى الحلمية العسكرى ، على شارع سليم الأول نفسه .

وكان من أبرز المنشآت فى حى الحلمية « ملهى الحلمية بالاس » ، الذى كان الملك فاروق وكبار القوم يقضون فيه سهراتهم . وكان يقدم الفن الراقى من رقص وغناء وموسيقى فى أول الليل ، ثم الرقص الثنائى بعد ذلك مع الشمبانيا . فقد كان هذا العصر حتى منتصف الخمسينيات عصر الملاهى ، وقد أغلق الملهى بعد ذلك .

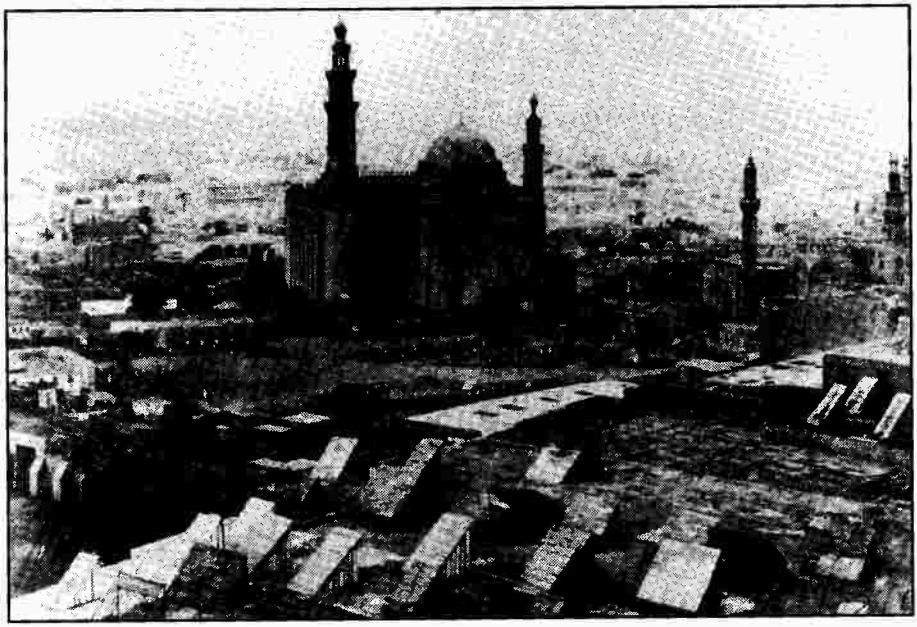

القاهرة كما تبدو من القلعة بين عامى ١٨٥٦ و١٨٥٩م وفى صدر الصورة مسجد السلطان حسن ولم يكن جامع الرفاعى قد بنى بعد .

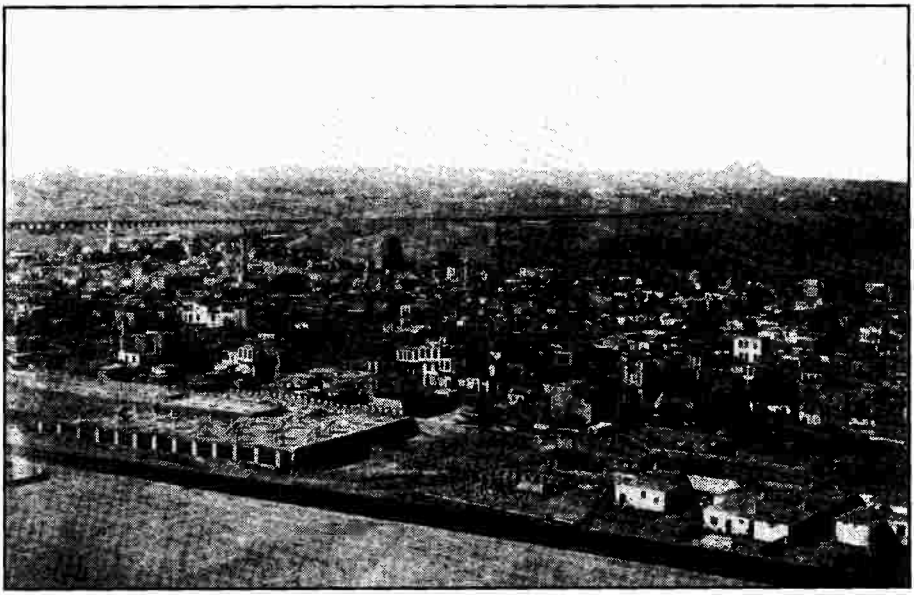

القاهرة من القلعة ويرى سور أو مجرى العيون وأهرام الجيزة . . هكذا كانت القاهرة عام ١٨٧٠م .

حى الغورية عام ١٨٨٠م وفى وسط الصورة مجموعة السلطان الغورى . . وشارع المعز لدين الله .

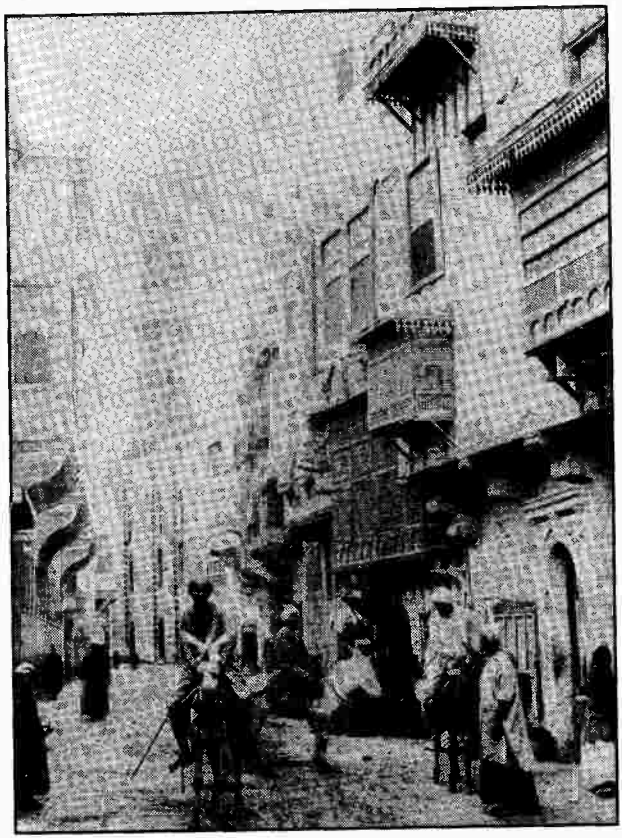

فى القاهرة المعزية شارع جامع السلطان شعبان عام ١٨٨٠م بينما « الحمارة » فى انتظار الركاب ثم المشربيات التى كانت من أهم معالم بيوت القاهرة .